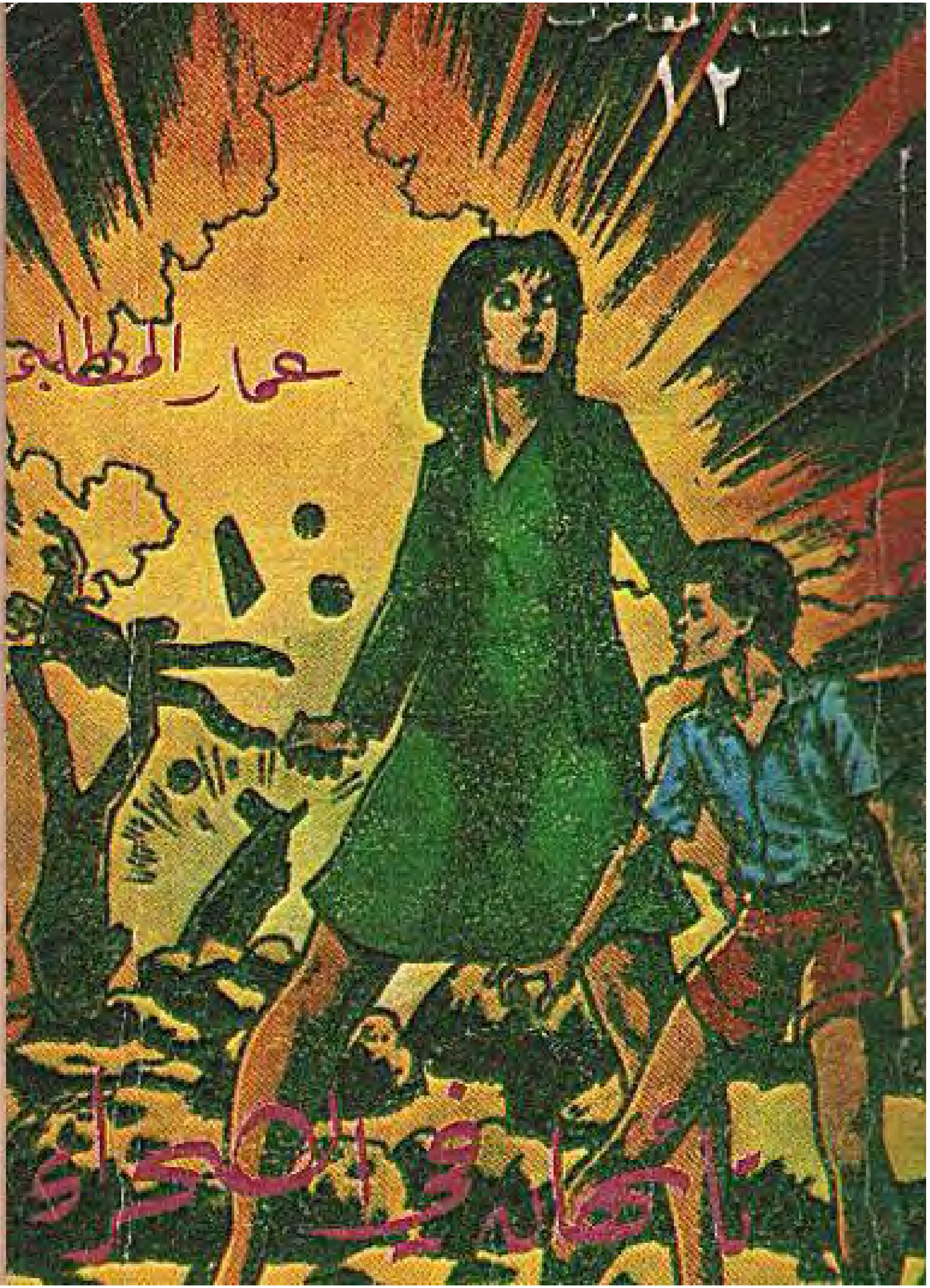
مكتبة المغامرات

١٢

تائهان في الصحراء

عمار المطلبي



في صبيحة أحد الأيام ، أقلعت طائرة من مطـار مدينـة « شارلستون » في الولايـات المتحدة الاميركية متوجهة الى مدينة « أديلايد » في أستراليا •

لم يكن على متـن الطائرة تـلك سوى أربعـة أشخاص ، هم : الطيـار ومساعده ، وقـد اتخذا مكانيهما في غرفة القيادة في المقدمة • وصبية عمرها ثلاثة عشر عاما هي « ماري » بالاضافة الى أخيها « بيتر » الذي لم يكن يتجاوز عمره الثمان سنوات ، وكان الاثنان في زيارة لعمهما « كيث » في أستراليا •

كانت الطائرة قد عبرت حدود أميركا منذ مدة ، وها هي الآن تحلق فوق الصحراء الاسترالية • أحس الاثنان كلاهما بالسعادة ، فعما قليل سيهبطان في مدينـة « أديـلايد » •

تطلعت ماري من النافذة وابتسمت •• انها لرحلة مدهشة وها هي تتمتع بكل لحظة فيها •

وسرحت بصرها في الأرض التي كانـت تمتـد

تحتها مترامية لا حدود لها •

انها الآن فوق الأرض !••• وملأ ذلك قلبها بالاثارة والفرح •

كانت أستراليا بالنسبة لها بلدا جديدا تماما ، وسيكون من الممتع والمثير أن ترى أي بلد يشبه ؛ وكيف سيبدو لها •

وعلى حين غرة اختفت الأبتسامة من وجهها •••

لقد حدث شيء ما ، فها هي الطائرة تصدر صوتا غريبا •

وبدأت عيناها تفتشان عن مصدر الصوت ••

وحين وقع بصرها على أحد المحركات ، صرخت وهي ترى النيران وألسنة اللهب تتصاعد منه وتوشك أن تمتد على طول الجناح •

صرخت ماري بالطيار ومساعده ، لكن الرجلين طمأناها قائلين :

لا تخافي ••• سيكون كل شيء على ما يرام •

وبسرعة جنحا بالطائرة نحو الأرض ، وما هي الا لحظات حتى كانت الطائرة تصطدم بالأرض محدثة ضجة عالية في وسط الصحراء •

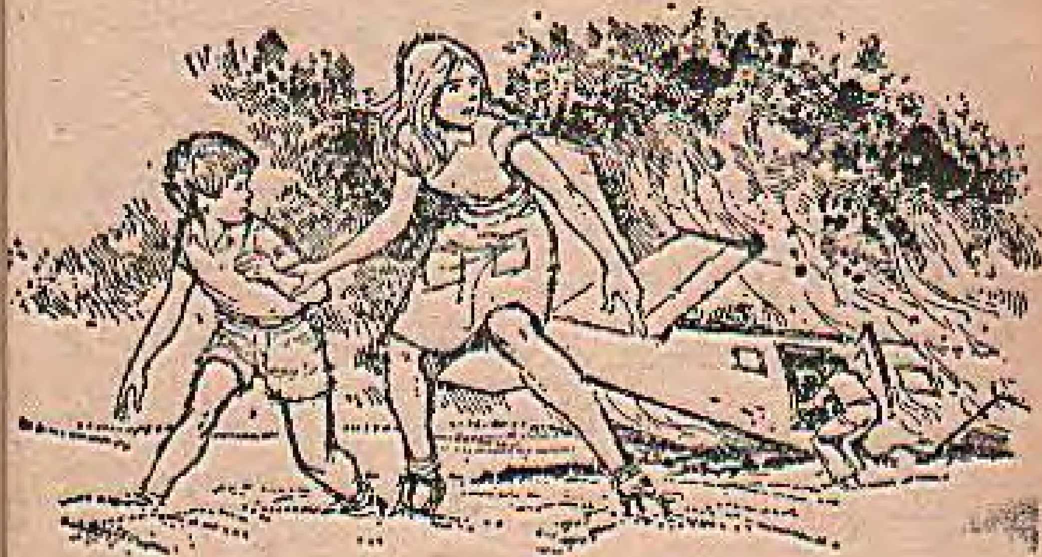
وما أن اصطدمت الطائرة بالأرض حتى انتشرت فيها النيران •••

خرج ماري وبيتر من الطائرة بأسرع ما يستطيعان •• لكن قدم بيتر غطست في الرمال العميقة الناعمة ، فصرخت ماري :

ثم مدت يدها لأخيها ، واستطاعت أن تخلصه وتبتعد به عن الطائرة المحترقة •••

وما أن ابتعدا مسافة حتى التفتت ماري وراءها ، فرأت المساعد وهو يحاول أن يجذب الطيار ، وفجأة حدث الانفجار وارتفعت درجة الحرارة بفظاعة • وتحول الرجلان الى لهبين أبيضين ثم لم يبق منهما أثر •

أدارت ماري رأسها بعيدا ، فما عادت ترغب أن



خرجت ماري وبيتر من الطائرة باسرع ما يستطيعان .

تـرى المزيـد . وكانت تريد أن تنسى ذلك المنظـر المروع المفجع وتلك المأساة .

أصبح الصبيان الآن وحيدين في وسـط تـلك الصحراء .. صحراء استراليا التي لا حدود لها !!..

* *

مضت نصف ساعة وماري وبيتر يسيران على غير هـدى في تلك الصحراء . وفي أثنـاء ذلك بـدأت الشمس تجنح نحـو المغيب .

وفي تلك الصحراء التي بدأ الضياء يغادرها ، برز أمامهما فجأة شريط مضيء .. أسرعا نحوه متلهفين ، وحين صارا على بعد خطوات منه ، داعـب أسماعهما صوت أليف !... كان ذلك الصوت هو خرير الماء ، وكان ذلك الشريط جدولا صغيرا .

وحين حل الظلام وأطبق ، كان الطفلان قد ارتويا من الماء فجلسا بقرب صخرة كبيرة .

كان الصمت والظلام يلفان المكان ، وشعر الاثنان بالخوف فدنا أحدهما من الآخر ليبقيا نفسيهما دافئين • كان بيتر يرتجف فأقترب من أخته أكثر فأكثر ، وأخذت ماري يده وضغطت عليها بقوة وهمست :

ـ أنا معك يا بيتر •• كل شيء على ما يرام •

فكف عن الارتجاف ••• لقد بدت له أخته كبيرة فشعر بالأمان وهو يجلس بجانبها • همس بعد لحظات :

ـ ماري •• أنا جوعان !

فمدت يدها في جيبها وأخرجت قطعة من الحلوى وقسمتها نصفين ، ثم ناولت « بيتر » أحدهما ، وأعادت النصف الآخر الى جيبها ••• وكان ذلك آخر ما معهما من طعام •

وكان الاثنان أثناء حديثهما يهمسان همسا ، لأن الصمت كان يطبق على المكان ، ولم يكن ثمة صوت

الا صوت الماء وهو يجري فوق الحصى •

وكانت الساعات تمر بطيئة متثاقلة والظلام حالكا وليس ثمة أثر لقمر في السماء •

نام بيتر ، لكن ماري لم تستطع أن تنام •• كانت تحرس أخاها وتسهر عليه ، أخاها الذي أحبته دوما واعتنت به كثيرا ••• وها هما الآن ضائعان في وسط الصحراء • فكان عليها أن تصبح أكثر من كونها اختا كبيرة له •• كان عليها أن تكون أما له كذلك •

ظلت ماري تحدق في الظلام الحالك فترة طويلة ، ولم تشعر حين بدأ جفناها ينطبقان فاستسلمت أخيرا للنوم •

واذ نام الطفلان انبعثت الصحراء حولهما ببطء الى الحياة ! في البعيد •• شرع الكلب البري (الدنكو) ينبح ويعوي !•• وبالقرب منهما تصاعدت رفرفة أجنحة الوطاويط ، ومرقت الحباحب المضيئة كأنها مصابيح صغيرة تسبح في الظلام !•

وخرج « الومبت » من جحره تحت الأرض ، وألقى نظرة متفحصة على الطفلين ، ثم استمر في طريقه باحثا عن الجذور والخضروات .

وظلت ماري تتقلب في نومها وهي تحلم بالطائرة ... وظلت ترى ألسنة النار واللهب والانفجار ، وتفكر بالرجلين اللذين قتلا . وترى نفسها وهي تمسك بقوة بيد أخيها الصغير .

بيطء بدأت تنجلي السماء .. وتسللت أشعة الفجر الشاحبة من جهة الشرق .. ولن تمر سوى لحظات حتى يبدأ يوم جديد !!.

* *

في الصباح التالي ، أشرقت الشمس ساطعة فوق الصحراء ... وهناك نمت أنواع من الأشجار والأزهار والشجيرات القصيرة والحشائش الجافة ، تعلمت جميعا أن تعيش بقليل من الماء !.

ان تلك الصحراء الاسترالية تعرف كذلك بال (أجمة) ، لكثرة ما فيها من نباتات تملؤها بمختلف الألوان ، السوداء والخضراء والبيضاء والحمراء والذهبية ! ، مكونة بمجموعها منظرا رائعا بديعا .

لكن ماري وبيتر لم يبصرا في الصباح الباكر جمال أجمة الصحراء ، فقد كانا لا يزالان مستغرقين في النوم !

وفي أثناء ذلك حلق طائر رمادي اللون كبير باتجاه شجرة طويلة . ولم يكن ذلك الطائر الا (القرلي) الذي كان دميما وله منقار ضخم . وفي ذلك الصباح كان (القرلي) يبحث عن شيء يتغذى عليه ، وحين أبصر الطفلين النائمين زعق بصوت أجش .

كان بيتر لا يزال نائما مستلقيا في ظل الصخرة

الكبيرة ، ويبدو لمن ينظر اليه صغيرا عاجزا لا حول له .

بدأت ماري تقلق ... ان بيتر سيكون جوعانا حين يستيقظ من النوم .. انها جوعانة كذلك ، ولم يبق لديهما سوى قطعة صغيرة من الحلوى . انهما يستطيعان أن يحصلا على الماء من الجدول . لكن .. ماذا سيأكلان ؟ ... واذا لم يحصلا على الطعام فسوف يموتان ... سوف يقاسيان الجوع حتى الموت .

تطلعت الى طائر القرلي .. كانت ترغب أن تمسك بالطائر وتأكله . وكأنه أدرك تفكير الفتاة فأطلق صيحة عالية وحلق بعيدا .

بدأت حرارة الشمس تشتد ، وشعرت ماري بالحاجة الى الاستحمام فتطلعت الى الجدول .... وهناك كانت مجموعة من الطيور الصغيرة تتقافز في الماء البارد الصافي .

رأت ماري أن بيتر لا يزال نائما ... تطلعت حولها بعناية .. انهما لوحدهما ولن يراها أحد وهي تخلع ملابسها ... وبسرعة أسقطت حذاءها من قدميها وجذبت ثوبها فوق رأسها ، ثم ركضت عارية الى النهر .

غمر الماء البارد كتفيها ، ساقيها وخصرها . ورأتها تلك الطيور الصغيرة فخافت وطارت بعيدا وبقيت ماري لوحدها في الماء . فراحت تضحك وقد نسيت جوعها وتطرطش بالماء هنا وهناك .

أيقظ صوت الماء بيتر من نومه ، وحين رأى أخته صاح :

ـ هلو ماري ، أنا آت أيضا ... ثم خلع ثيابه وقفز الى الماء .

غضبت ماري وقبضت على أخيها الصغير من ذراعه وسحبته الى ضفة الجدول وهي تقول له :

ـ انك أحمق يا بيتر .. فالماء عميق .

قال بيتر :ـ انه ليس كذلك ••• ثم اني أجيد السباحة • وقفز ثانية الى الماء •••• راقبت ماري أخاها وهو يسبح ، وبدأت تفكر في الأيام التي سوف تجيء وهما في وسط هذه الصحراء •
من أين سيحصلان على الطعام ؟ ••• وكيف سيخرجان وليس ثمة أثر لطريق •

حين خرجا من الجدول قال لها بيتر :

ـ أنا جوعان ••• ماذا نستطيع أن نأكل ؟

أخرجت ماري أخر قطعة من الحلوى لديهما وناولتها له فقال :

ـ انها ليست كبيرة ••

ثم قطع منها جزءا وناوله لاخته • وبالرغم من أن بيتر بدا لماري سعيدا وهو يخوض في الماء وفمه مملوء بالحلوى ، الا انها كانت قلقة ، فلم يعد لديهما الآن شيء من الطعام •

❋ ❋

راقبت ماري بيتر وهو يلعب ••• كان يزحف فوق الرمل ، وفجأة قفز واقفا على قدميه وأطلق صرخة ألم حادة وهو يمسك بسرواله •

اندفعت ماري لمساعدته •• في البداية لم تكن تعرف ما الذي حدث ، لكنها عرفت بعد ذلك • كان ذلك بسبب النمل ! ••• النمل النطاط الذي قفز عاليا في الهواء وعض بيتر من سرواله • جذبت ماري سروال أخيها وهي تقول :

ـ لا تخف ••• انظر •• النمل ! ••• انه لا يزال متعلقا بسروالك ظانا أنك ما تزال في داخله !! ••

توقف بيتر عن البكاء ، وتطلع الى سرواله فوق الأرض ••• كان ذلك حقا فالنمل لا يزال هناك فأخذ يدوسه بقدمه ليقضي عليه •

قالت ماري :ـ كفى يا بيتر ••• لقد نظفت سروالك ، ثم ساعدته على ارتدائه •

ولكن بيتر عاد يبكي ثانية •• لقد آذته تلك العضات ، فوضعت ماري ذراعها حوله ، كان جسده يرتجف وكان بأمكانها أن تسمع دقات قلبه الصغير ، فهمست في أذنه :ــ كل شيء على ما يرام •• ولن أسمح ثانية لتلك الحشرات أن تعضك يا بيتر •

فتوقف لدقيقة عن البكاء ، لكنه عاد يبكي أيضا • فسألته :

ــ ما الذي حدث يا بيتر ؟

فأجاب من خلال دموعه :ــ لا أحب هذا المكان !

أخذت ماري نفسا عميقا •• ذلك ما كانت تخاف منه ، وهي تعرف الآن ما الذي ينوي أن يقوله أخوها بعد ذلك • لكن ليس بمقدورها ان تفعل شيئا •

قال بيتر : لا أحب هذا المكان ••• أريد أن

أذهب الى البيت !

قالت ماري : ولكننا لا نستطيع أن نذهب الآن الى البيت ••• فليس لدينا شيئا نعبر به البحر •

فقال لها : اذن دعينا نذهب الى عمنا (كيث) في أديلايد •

دهشت ماري لأن بيتر لا يزال يتذكر كل تلك التفاصيل • وقالت ببطء :ــ حسنا •• سوف آخذك الى العم كيث •

فكف بيتر عن البكاء في الحال وعاد يسألها : متى ؟ ألآن ؟

قالت :ــ نعم ••• سنذهب الآن ••• سنبدأ في المسير الى أديلايد !!

لم يكن الطفلان يعرفان أن أديلايد تبعد عنهما باربعمائة ميل • ولو أنهما بقيا بقرب حطام الطائرة ، فلربما عثر عليهما أحد ••• لكنهما لم يفكرا بذلك ، فشرعا في المسير !!!

ظلا يسيران بجانب الجدول لساعتين .. ثم بدأ الصغير يتعثر في المشي ويتخلف عن أخته كثيرا ...

وحين رأت ماري ذلك توقفت وقالت :ـ سنرتاح الآن .

جلس بيتر على الأرض ... كان متعبا جدا .

أزاحت ماري شعرها عن عينيها ومسحت وجهها الساخن .

ومر وقت طويل وهما صامتان . وأخيرا حل السؤال الذي كانت الفتاة تخشاه .

ـ أنا جائع يا ماري ، ماذا سنأكل ؟

قالت ماري :ـ أواه يا بيتر ... لم يحن وقت الغداء بعد .

قال بيتر :ـ ومتى سيحين موعد الغداء ؟

فأجابت :ـ سوف اخبرك في وقته .

فقال بيتر وقد بدأ القلق يسيطر عليه :

ـ حين يحين موعد الغداء . ماذا سوف نأكل ؟

قالت ماري : سوف أجد شيئا ... لكنها في الحقيقة كانت قلقة جدا ، فقد بحثت عن ثمار العليق لتأكلها ، فما وجدت شيئا منها .

وعاد بيتر يقول :ـ أنا جائع

فنهضت بسرعة وقالت : حسنا .. دعنا نبحث عن شيء نأكله .

* *

في البداية أحسا بالسعادة ، فالبحث عن الطعام يشبه في تلك الصحراء لعبة مثيرة ! ... بحثا عن السمك في الجدول ، لكن السمك كان نائما تحت الوحل ! ... أما الطيور فقد طارت بعيدا ، وبقية الحيوانات كانت في جحورها نائمة ، فلم يجد الطفلان شيئا يأكلاه .

انتصف النهار وسخن الجو ، وتحت تلك الشمس المحرقة لن يستطيع أحد أن يرى أثرا لحيوان !

تسللت فكرة مبهمة الى عقل بيتر ... فأشار الى مجموعة من التلال القريبة وهتف : ماري

ـ نعم ... بيتر .

قال :ـ لنتسلق الى قمة ذلك التل .. فربما نستطيع أن نرى البحر من هناك .

أخذ تسلق التل منهما وقتا طويلا حتى أن الشمس كانت على وشك الغروب حين وصلا الى قمته ... ومن هناك ، أبصرا الصحراء وهي تمتد أميالا خلف أميال حتى الأفق ! ...

لا شيء سوى الصحراء ! ... لكن بيتر رأى في البعد مجموعة من البرك الفضية تلتمع بسطوع تحت الشمس ، فقفز وقد تملكه الفرح صائحا :

ـ ماري ... انظري يا ماري ... انه البحر ! انه ليس ببعيد !

أمسكت ماري به وتشبثت به بقوة ، وضمت وجهه الى صدرها وقالت :

ـ لا تنظر يا بيتر ... لا تنظر ثانية ...

ثم أجلسته بقربها ، وأخذت تفكر فيما رأت ...

كانت لا تريد لبيتر أن يرى كم هي قلقة مضطربة ، فهي تعرف ما هي تلك البرك الفضية التي رآها ... انها ليست سوى برك من الملح ... وعرفت الآن فقط أنهما ضائعان في وسط الصحراء الاسترالية !..

بعد وقت طويل نهضت ، وهبطت مصطحبة اخيها الى الجدول ثانية ... فهناك على الأقل ماء !

عصف الغضب ببيتر فقال لماري :

ـ دعينا نذهب الى البحر .

فقالت له :ـ سنذهب غدا .

فعاد يقول لها :ـ ومتى سنأكل ؟

أجابت :ـ غدا ... سنأكل غدا .. ولن نجوع بعد ذلك . لكنها في الحقيقة كانت خائفة ... انها ستجن من الجوع ، واذا لم يحصلا على شيء من الطعام فلسوف يموتان !

في الصباح التالي نهض الطفـلان مبكرين ...
أراد بيتر أن يذهـب الى البحر ، لكن ماري قالت ان عليهما أن يجدا أولا شيئا من الطعـام .

طول الصباح ظلا يبحثان عن الطعام ... قطعـا مسافة طويلة بعيدا عن الجدول وهما يبحثان عـن الفاكهة وتفحصا كل شجرة أو شجيرة صادفاها ... لكن الساعات كانت تمر من غير جدوى ..

وفجأة أبصرا مجموعة من الأشجار الجميلة ذات الأوراق الفضية السميكة ، فصرخ بيتر فرحا وهـو يرى ثمارا حمراء وخضراء تتدلى من الأغصان !

صاحت ماري :ـ بيتر ... لا تأكل منها فربما تكـون سامـة .

لكنه لم يلق بالا الى تحذيرها ، بل ركض قافزا نحو تلك الأشجار وبدأ يدفع بالثمار في فمه !

وفي الدقيقة التالية كانـت ماري تفعل الشـيء نفسـه !

كان مذاق الثمار حلوا ، فظل الطفلان اللـذان قاسيا من الجوع يأكلان ويأكلان ويأكلان .

وبعد أن شبعا جلسا طويلا في ظل الاشـجار ، الاشجار التي أنقـذت حياتهما ومنحتهما السـعادة والشـبع والهنـاء !

وبعد أن استراحا ، نهضت ماري وراحت تلتقط مجموعة من تلك الثمـار التـي سوف يحتاجانها في سفرتهما الى أديلايد ! ... ثـم وضعتها في منديـل بيتر وخبأت المزيد منها في جيوب ثوبها . وحـين رآها بيتر نهض بدوره وراح يلتقط المزيد .

وفجأة شعر أن أعصابه بـدأت تهتاج وتتوتر .. كانت الاشجار والشجيرات حوله صامتة ، لكنه كان خائفا ! ، فزحف ببطء عائدا الى أخته وهمس :

ـ ماري ، أظن أن أحدا ما يراقبنا !

قالت :ـ ماذا ؟ أحد ما يراقبنا ؟! ... أين ؟

وراحت تتلفت حولها ... كان هناك صبي يقف



كان هنالك صبي يقف على بعد اربعة اقدام منهما

على بعد أربعة أقدام منها ••• قريبا جدا حتى أنها كانت تستطيع أن تمد يديها وتلمسه •

سقطت الثمار منها على العشب ، وأفلتت منها صرخة خوف ! ••• فعلى مقربة كان يقف صبي أسود ، عار من قمة رأسه حتى أخمص قدميه !!!

* *

في البداية أرادت أن تخطف بيتر وتركض به بعيدا •

لكن خوفها تلاشى شيئا فشيئا ! ، فقد كان الصبي الأسود في عمرها نفسه ، ولم يكن يحمل معه سلاحا ، ولم يبد عليه انه شخص خطر ، بل وقف في مكانه وهو يتطلع اليهما بفضول ! •••

كان جسمه أسود ، لكن شعره لم يكن مجعدا •••• عيناه زرقاوان غامقتان ، وعلى ظهره تدلى صيده وهو عبارة عن كنغر صغير •

لم تخف ماري من منظر الحيوان الميت الذي

أمسك به الصبي من ذيله . لكنها لم تفهم لماذا كان ذلك الصبي عاريا ..

في وسط الصحراء الاسترالية ، وقف اولئك الثلاثة جامدين يتطلعون الى بعضهم بدهشة وفضول وكأنهم أناس هبطوا من عالمين مختلفين ..

كان (فتى الأدغال) ، مختلفا عنهما : فقومه ـ سكان أستراليا الاصليون ـ توطنوا في هذه الصحراء منذ عشرين ألف من السنين وكان أسلوبهم في الحياة بسيطا . فلم تكن لديهم الآلات لتساعدهم ولا غلات أو ملابس أو بيوت !... وما كانوا يقتنون شيئا من الممتلكات أو الأموال ، بل يتنقلون من موضع ماء لآخر . وحين ينفد ما معهم من طعام في مكان فانهم يغادرونه الى مكان آخر .

لقد أدركوا أن الموت عدوهم ، فعرفوا كيف يحفظون أنفسهم أحياء في وسط تلك الصحراء !

* *

سطعت الشمس الساخنة فوق رؤوس الأطفال الذين ظلوا على حالهم يحدقون ويحدقون .

قررت ماري الا تتحرك ... انها سوف تظل تسمر نظراتها على ذلك الصبي حتى يفهم أن عريه عمل خاطيء ، ولهذا دفعت ذقنها الى الأمام وحدقت بأقسى ما تستطيع .

قبض بيتر على يد أخته وانتظر ما يحدث .

لكن فتى الأدغال لم يكن في عجلة من أمره ، فقد اصطاد طعامه ، وها هو الماء قريب منه . ولذلك فضل أن يظل برهة أخرى يتفحص هذين المخلوقين الغريبين !

كانا أول أبيضين يراهما ذلك الصبي في حياته . ومع ذلك فأنه لم يخف اذ ادرك أنهما ليسا مسلحين .

ثبتت ماري نظرتها بقسوة أكثر من ذي قبل على ذلك الصبي . وبدأ بيتر يتحرك متململا .. حرك أولا رأسه وسعل ، ثم عطس عطسة عالية أعقبها بثانية

وبدا على بيتر أنه لـن يستطيع أن يوقـف نفسـه عـن العطـاس •

وتملكت ماري دهشة بالغـة وهي تـرى ذلك الصبي وقد انفجر في ضحك متواصل • ولم يستطع أن يوقـف ضحكـه فانطـرح على الأرض وظـل يضـحك ويضـحك !

في الحال شرع بيتر يضحك هـو الآخـر • وفي الدقيقة التالية كان بدوره قد انطرح على الأرض !

راقبت ماري الولدين ••• لو أن ذلك حـدث قبل سنة لاشتركت معهما في مرحهما • أما الآن فهي تشعر أنها لم تعد طفلة بل كبرت كثـيرا ، فعبسـت وقبضت بيدها على بيتر ، وقالت له :

ـ كف عن الضحك ••• ذلك يكفي •••

توقف الصبيان عن الضحك وسـاد الصمـت ، ثم تكلم فتى الأدغال قائلا :

ـ ووريمكالا ؟ ••• ومعناه :ـ من أين أتيتما ؟



تطلع الصبي الى بيتر وراح يتفحص ملابسه باهتمام •

لم يفهم الاثنان شيئا فتطلعا الى بعضهما • وكرر الصبي السؤال مرة أخرى :

ـ ووريم كالا ؟••• ومعناه : الى أيـن أنتمـا ذاهبـان ؟

فحاول بيتر أن يفهم الصبي فقال :

ـ لا نعرف ما الذي تتحدث عنـه !•• لكننـا ضائعان ونريد أن نذهب الى أديلايد ، حيـث يعيش هناك عمنا (كيث) • أي طريق نسلك ؟••

ابتسم الصبي ابتسامـة عريضـة ودودة وهـو يستمع الى صوت بيتر المضحك الغريب !!• فبادلـه بيتر الابتسام وهو يرغـب أن يعـودا الى الضحك مـرة أخـرى •

لكن الصبي لم يرد أن يضحك الآن ، بل خطـا نحو بيتر وتحسس وجه الفتى بأصابعه ••• ثم تطلع الى أصابعه وتملكته الدهشة لأنه لـم يجـد أثـرا للبياض عليها • مرة أخرى لمس شـعر بيتـر الأحمر

ودهش اذ لم يجد أثرا للحمرة في أصابعه •

بعد ذلك تطلع الى الثياب البيضـاء التي كـان يرتديها بيتر ، فشعر بيتر فجـأة أنـه شخص مهـم جدا • فلقد أدرك أن الصبي لم ير أحدا يشبهه مـن قبل ، فوقـف باستقامـة وسمح لـه أن يتفحـص ملابسـه !

جذب الصبي قميص بيتر ثم ألقـى نظـرة على سـرواله •

قال بيتر :ـ انه سروال ••• سروال قصير ••• ينبغي أن يكون لديك سروال أيضا ••• ألا توجـد لديكـم هنـا مخـازن ؟

لكن الصبي لم يصغ اليه بـل انهمك في تفحص حمالة سروال بيتر المصنوعة من المطاط ، ومع ذلـك ظل بيتر يحدثه قائلا :

ـ تلك حمالة السروال • انها ترفعه وتشده الى أعلى •• انظر انها تتمدد !

ثم سحبها الى الأمام وتركها ترقد ثانية • وأخافت الضجة العالية الصبي فقفز على قدميه • وسر بيتر لذلك فاعادها مرة أخرى • وتبسم له الصبي ثم عاد يتطلع الى الحذاء •

بعد ذلك استدار الى ماري فشعرت بالخوف ووقفت ساكنة تماما مع أن قلبها كان يدق بعنف • وسيطر عليها رعب فظيع فقد خافت أن يمسها الصبي هي الأخرى • وعلى الرغم من ذلك فلم تبتعد خطوة واحدة عن الصبي • وبدأت الأصابع السوداء تتحسس ملابسها ، لكنها سرعان ما توقفت ، فقد أدرك الصبي ان هذا المخلوق الكبير يشبه الأول !

ثم خطا الى الخلف ، فلم يعد هناك المزيد ليعرفه ، واستدار والتقط الكنغر الميت الصغير ، وكانت مجموعة من الديدان تركض فوق فرائه فخبطها بيده وسار مبتعدا • ولم تمض سوى برهة حتى غاب عن النظر •

ذهل ماري وبيتر ولم يستطيعا أن يصدقا أن ذلك الصبي قد ذهب • وكان بيتر السابق الى فهم ما حدث • فقال بصوت خائف :

ـ ماري ••• لقد ذهب !

لم تقل الفتاة شيئا • لقد كانت مسرورة ان ذلك الصبي الأسود العاري قد ذهب بعيدا • ولكنها أسفت أن لم تطلب منه المساعدة ، فأخفت وجهها بيديها وتساءلت بينها وبين نفسها • وفكرت : ماذا سنفعل الآن ؟ ومن الذي سيأتي لمساعدتنا ؟

وكان بيتر هو الذي قرر ماذا سيفعلان • لقد أحب الصبي ولن يتركه يضيع !• فقال وهو يلهث :ـ ماري ••• تعالي تتبعه •

ثم ركض خلال الأدغال وتبعته أخته متباطئة ، فقد كانت لا تزال تخاف من الصبي الأسود •

صاح بيتر : أيها الصبي • نحن نريد أن نأتي أيضا ••• انتظرنا !

وظل يصيح وهو يركض في اثره :

ــ أيهـا الصبي •• انتظرنـا •• انتظرنـا •• انتظرنـــا !!

* *

ســمع الصــبي الصــوت وتوقــف ينتظـر الغريبين ••• لـم يكن الصبي خائفـا منهما بـل مندهشا ، وتساءل بينـه وبـين نفســه :ــ تـرى ما الـــذي يريـــدان ؟

وجاء بيتر نحوه مهرولا وهو يصيح :

ــ لا تتركنا أيها الصبي ••• نحن ضائعان ••• نريد طعاما وماء ••• ونريد أن نعرف كيف سنصل الــى أديلايـــد •

تبسم الصبي وفكر ان صوت بيتـر مضــحك وغريب •• وأغضب ذلك مــاري فقبضت على يـد بيتر بقوة وحاولت أن تجذبه بعيــدا •

لكنه لم يرغــب أن يبتعد معها ••• لقــد أدرك

انهمـا يحتاجان للمساعدة فقــرر أن يطلبهـا مــن الصبي • فقال مخاطبا اياه :

ــ انظر •• أيها الصبي ••• نحن ضائعان ••• ونريد ماء •• انك تعرف ما هــو المــاء ••• أليس كذلك ؟ ••• ما •• ء •• ما ••• ء ••

ثم جمع كفيــه الى بعضهما وقربهما الى شفتيـه وتظاهر بالشرب • فأومأ الصبي برأســه وقــال :ــ أركولولا ••• وبدا عليه أنه أدرك عطش الغريبين • فكرر الكلمة مرة أخــرى قائــلا :ــ أركولولا ••• وكانت تلك الكلمة موسيقية ناعمة ! •• ثــم لعــق شفتيه وتظاهر بالشرب مثلما فعل بيتر ! ••

سر بيتر سرورا عظيما وقال للصبي :ــ نعم ••• انها هي ••• لقــد فهمتها ••• أركولــولا ، ذلــك ما نريد •• وطعاما كذلك ••• أفهمت ؟

طعام ••• طعا ••• آم ••• طعا •• آم !

وتظاهر بتقطيع شيء ما بالشوكة والسكين ثــم

تظاهر بمضغ الطعام .

لم يفهم الصبي القصد من تلك الحركة التي مثلها بيتر بالشوكة والسكين . لكنه فهم عملية المضغ فقال : بيمارا ...

رقص الولد الأبيض من الفرح وقال : لقد فهمتها أيها الصبي .. (بيمارا وأركولولا) .. ذلك ما نريد .. والآن أين سنجدهما ؟!

استدار الصبي وتحرك بعيدا عن الأطفال . ثم توقف وتطلع مرة أخرى وصاح :ـ كورورا ...

واهتاج بيتر وقال :ـ تعالي يا ماري ...

(كورورا) تعني اتبعاني ..

وببطء وفتور تبعته الفتاة !

* *

بعد وقت قصير وصلا الى غابة كثيفة تشيع فيها البرودة والظلام .

وكان على بيتر أن يركض لكي يلحق بالصبي الذي

كان يمشي بسرعة فائقة ، فتصبب العرق من وجهه وبلل ملابسه وشعره ، وأجهده الركض فتباطأ في مشيه كثيرا .

وقفت ماري تنتظر بيتر ... قبض الولد الصغير على يدها فشعرت بالسعادة اذ فكرت ان بيتر اخوها وانها سوف تعتني به دوما !... ولن تسمح له أن يجهد نفسه ويركض خلف الصبي .

وهمست :ـ حسبنا يا بيتر .. لن تتركك خلفنا .

وكان الاثنان جائعين وظامئين فقد ظلا يمشيان لعدة ساعات . وفجأة انتهت الغابة وانبسطت الصحراء أمامهما خالية من كل أثر لظل . أميالا وراء أميال من الرمال الساخنة المحرقة . أميالا خلف أميال من برك الملح والصخور القاسية .

كانت تلك صحراء (ستورت) ... المكان الذي ليس فيه اثر لماء أو غذاء !

هتف الصبي : كورورا ... ثم شرع يسير في

الصحـــراء !.

لم تتبع ماري الصبي بل توقفت . كـم سيبعد الماء والطعام عنهما ؟ لربما يكون أبعد مـن قدرتهـا واحتمـال بيتـر .

جلست في الظل وجلس أخوها بجانبها ... كان الولد الصغير متعبا جدا ، وكان العرق يتصبب مـن وجهـه بغـزارة .

عاد الصبي وتكلم بهدوء اليهما . كـان يبدو قلقا جدا !... ان هذيـن الطفلين سيموتان ان لـم يستمروا في المسـير . وستأتـي الأرواح الشريـرة لتأخـذ جسديهمـا .

أشار الصبي الى بعض الصخور التي تلـوح في البعد ... هناك بالقرب منها يوجد الغذاء والماء .. وعلى الطفلـين أن يتبعـاه .

أدركت ماري ماذا كان يريد الصبي أن يقول : لكنها لم تكن ترغب أن تتبعه ، بل ودت لو بقيت في

الظل !... ان تلك الصخور بعيدة جدا ... ثـم كيف يوجد ماء في ذلك المكان ؟

قال الصبي : اركولولا ... وكرر تلك الكلمـة مرة بعد أخرى وهو يشير الى الصخور .

تطلعت ماري الى الصخور مرة أخرى . وفجـأة تبسمت !.. كان بمقدورها أن ترى أشباح الاشجار والشجيرات ... ربما يكون ثمة ماء !

فهتفت : ــ هيا يا بيتر . وكـان متعبـا جـدا فساعدته على النهوض . واستأنفـوا المسـير ....

وحين وصلوا الى تلك الصخور كانت الشمس قـد جنحت للمغيب . وما أن اقتربوا من بعض أشـجار الخنشار حتى تناهى الى سمعهم خرير الماء !

لم يعد بيتر بحاجـة لمساعدة مـاري فانطلـق راكضا نحو تلك الأشجار ولم تمض لحظة حتـى سمعته وهو يصيح بأنفعال : ــ انه الماء ... مـاري ... مـاء !

ـ اركولولا .... قال الصبي وابتسم بمودة .

اتخذ الفتاة البيضاء والصبي الأسود طريقهما خلال أشجار الخنشار فوصلا الى بركة صغيرة من الماء . كان يتر منبطحا على بطنه وقد تدلى رأسه في البركة وغطى الماء وجهه ووصل الى أذنيه .

وفي أقل من ثانية انبطحت ماري الى جانبه . وشرع الاثنان يشربان ويشربان ويشربان .

كان الماء دافئا ولم يكن لطيف المذاق . لكن ماري لاحظت ان الصبي لا يشرب من سطح البركة بل يمد يده الى القعر ثم يرفعها مملوءة بالماء . ففعلت الشيء نفسه ووجدت لدهشتها ان الماء الجديد بارد ولذيذ .

شرب الصبي قليلا من الماء ثم وقف في الحال وتسلق الصخرة وجلس تحت الأشعة الدافئة للشمس الغاربة يراقب الغريبين .. لقد تملكه الفضول فأخذ يتأملهما . وبديا له عاجزين أشد العجز ، وفكر أنه



أخذ الصبي قطعة من الخشب وحفر فيها ثقبا .

لولا رعايته لهما واعتناؤه بهما لكانا قـد فارقـ
الحيـــاة .

ارتوى بيتر من الماء وشرع يتسلق الصــخرة الى
حيث يجلس الصبي . انحنــى الصبــي ومــد لـ
يــده وجذبــه اليــه .

شعر بيتر بتحسن بعد أن أطفأ ظمــأه ، فأبتــ
يطلــب الطعــام .

ونظر الى الكنغر الصغير في يد الصبي ومد يد
ومســه بلطف وتســاءل :

ـ أكــل ... بيمارا ؟

* *

هبط الاثنان من الصخرة حين غربت الشمس
لن تمضي نصف ساعة حتى يعم الظلام .

تحرك الصبي مسرعا حين وجــد مكانا ملائمـ
لأيقاد النــار ، وانهمك ينظــف الأرض بيــده مـ
الأوراق والأغصان والأعشاب . كان يعتقد أنه بذلك



اطفا الصبي النار وقف ليتاكد من خلو المنطقة من الاخطار

يطرد الأرواح الشريرة ويمنعها أن تتغذى عليها .

راقبه بيتر بفضول ثم بدأ يفعل الشيء نفسه وهو لا يكف أثناء ذلك عن توجيه الاسئلة للصبي .

ــ ماذا تحاول أن تفعل ؟... لماذا تنظف الأرض من الأغصان ؟

ابتسم الصبي ووضع في راحة يده ورقة جافة وعودا صلبا وأخذ ينفخ عليهما وقال : « لارانا » .

صاح بيتر : ــ لقد فهمت ... نار ... انك تنوي أن تشعل نارا .

كرر الصبي : ــ لارانا ... فقال بيتر : ــ حسنا أيها الصبي .. لارانا .. انك تنوي أن تشعل لارانا ... سوف أساعدك . ثم بدأ يجمع الأوراق والأعشاب . وسر ذلك الصبي سرورا شديدا فأبتسم لبيتر .

أما ماري فقد جلست بالقرب من البركة وأخذت تراقبهما ... لقد نساها الاثنان في غمرة انشغالهما

بأيقاد النار فأحست بالغيرة وتمنت لو تكون صبيا هي الأخرى . وأخيرا تمددت على الصخرة تراقبهما فرأت الصبي وهو يأخذ قطعة كبيرة مسطحة من الخشب ويحفر فيها ثقبا ثم يضع فيه بعضا من الغصينات الجافة والأوراق .

تناول بعد ذلك عودا طويلا نحيفا ووضع طرفه في الثقب ثم وضع راحة يده على الطرف الآخر منه ، وأخذ يدعك يده ويحركها الى الخلف والأمام .

ولم تمض الا لحظات حتى سخنت قطعة الخشب وارتفع خيط من الدخان . وراح الصبي يدعك أسرع فأسرع ، وسخنت الخشبة أكثر فأكثر وقدحت شرارات اللهب فوضع الصبي مزيدا من العيدان ... لقد اكتملت النار !

على مهل شوى الصبي الكنغر الصغير ، وبعد ساعة كان الثلاثة يأكلون تحت ضوء القمر لحما

لذيذا شهيا . وحين انتهوا من وجبة الطعام ، أطفأ الصبي النار ووقف ليتأكد من خلو المنطقة من الأخطار .

ثم انطرح على الصخرة بالقرب من ماري وبيتر .

وجاءت الغيوم وغطت وجه القمر ، واستغرق الأطفال في نوم عميق !!

* *

استيقظت الفتاة مبكرة وظلت راقدة على ظهرها وهي تراقب العتمة تتكشف والضياء يتألق رويدا رويدا ... انه الصباح !

تطلعت ماري الى السماء وفكرت : هل ثمة حياة أخرى هناك ؟ لسوف تعرف ذلك حين تموت .. لكنها في هذه اللحظة تنبض بالحياة ... وشعرت بالامتنان لذلك الصبي وودت لو تقوم وتقدم له شكرها العميق .

استدارات وتطلعت الى الصبي الأسود العاري ... كانت لا تزال قلقة جدا ... لقد أنقذ الصبي حياتها وحياة أخيها ... انه يعرف كيف يحيا في الصحراء فأذا مكثا بقربه فسوف يحصلان على كفايتهما من الماء والطعام . لكنهما سوف يظلان ضائعين ! فهل تستطيع يا ترى أن تجعل الصبي يصطحبهما الى أديلايد ... ربما لا يعرف هو نفسه أين تقع تلك المدينة !!.. وتوارد الى ذهنها المزيد من الأسئلة ... لم هذا الصبي وحيد في هذه الصحراء وأين أهله ؟.

ولم تستطع ماري أن تجد اجابة شافية لتلك الأسئلة ، فعادت الى النوم ثانية . بعد ساعات قليلة استيقظت من نومها فتناهت الى سمعها أصوات ضحكات لأشخاص يلعبون في الماء .

ولم تلبث حتى سمعت بيتر ينادي عليها :ـ تعالي يا ماري ... تعالي معنا .

فردت ماري :ـ فيما بعد ••• حين يدفأ الجو •

وخرج الصبي من الماء ، ومشى بضع خطوات ثم توقف ••• لقد رأى شيئا على الرمل ، فركل الرمل بقدمه وأخرج كرة بنية ناعمة •

ثم صاح بصوت متهدج :

ـ وورورا

خرج بيتر من الماء وتطلع الى الكرة البنية ، ثم مد يده وتحسسها وتساءل :ـ بيمارا ؟

أومأ الصبي برأسه موافقا ثم استأنفا البحث عن مزيد من تلك الكرات • وانتظرت ماري حتى غاب الصبيان عن النظر ، ثم نضت عنها ثيابها وقفزت الى الماء • ولم تمض سوى لحظات حتى كانت تضحك وتلعب في الماء • ولكنها بقيت تصيخ السمع بعناية •• وقررت أن تخرج راكضة حين تسمع صوت الصبيين ثم ترتدي على عجل ملابسها •

رأت ماري الصبيين وقد عادا محملين بكرات

بنية ناعمة • وحين أمعنت النظر أصابها الذهول • لقد كان الاثنان عاريين •

التقطت ماري سروال أخيها من جانب البركة وقالت :ـ بيتر ••• تعال هنا •

فتحرك ببطء نحو أخته وقال لها :ـ ماري ••• لست بحاجة للملابس فالجو حار جدا •

قالت ماري : البس ملابسك •

كان صوتها يشبه صوت معلم يخاطب تلميذه • وقد اعتاد بيتر أن ينفذ دوما ما تأمره به • لكنه في هذه الصحراء بدا مختلفا عما كان عليه ، اذ حدق بماري طويلا ، وقال أخيرا :

ـ حسنا •• سوف ألبس سروالي ••• لكن لا شيء آخر •

لو حدث ذلك قبل أسبوع لأغضبها قول بيتر كثيرا ••• لكن الأمور قد اختلفت الآن •

لبس بيتر سرواله ورمى بقية ثيابه بعيدا ، ثم

انهمك الثلاثة في طبخ تلك الكرات البنيـة الطيبـة المذاق • وخلال الأكل راقبت ماري الصبي •

لقد أنقذ حياتهما هذا الصبي الذي تبدو عليـه امارات الصحة والنظافة ••• لكنه لا يـزال عاري الجسم • فتمنت لو يلبس هو كذلك زوجـا مـن السراويـل •

فجأة ، قفزت فكرة الى ذهنها ••• سوف تفعل شيئا ما لمساعدة ذلك الصبي !••• فذهبت الـى الجانب الآخر من الصخرة ، وهناك شدت ثوبها الى الأعلى وخلعت سروالها القصير • ثم قفلت راجعـة ، وقـد امتلأ قلبها بالعطف الى حيث يجلس الصبي ، وناولته تلك السراويل •• لكن الصبي لم يعـرف ماذا يفعل بها فتطلع الى تلك الهدية ثم أخذ يسحب شريـط المطـاط •

قال بيتر :ـ ارتدها ••• ضع احدى رجليـك هنا والأخرى هناك ثم اسحبها الى الأعلى •

لم يفهم الصبي ماذا كان بيتر يقول له ، لكنـه أدرك معنـى حركـة بيتر فبـدأ يرتـدي السروال القصـير •

أحست ماري بالسعادة اذ لم يعد الصبي عاريـا الآن ، لكن بيتر انفجـر ضـاحكا حـين رآه يلبس سروال الفتاة • وأخذ يقفز وهو يشير اليه ويصيح :

ـ انظري ••• انظري ••• انه يلبس سـروالا نسائيـا •••

وظل يضحك ويقفز راقصـا ويصيح :ـ سروال فتيات •• سروال بنـات •

وأزعج ذلك ماري ، لكن الصبي امتـلأ سرورا فقد ظن أنه أعطي تلك الهدية لأنهم يريـدون لـه أن يـرقـص •

وفجأة ، ركض وشرع يقفز حول البركـة ثـم التقط عصا طويلة واستخدمها كحربة الصيد • وابتدأ بالرقـص !••

كان رقصه في البداية بطيئا ، لكنه أخذ يزداد سرعة بمرور الوقت ... تصبب العرق من جسده ودق قلبه بعنف وهو يرقص بلا توقف ، ثم وقع على الأرض وظل يدور حول نفسه ويدور .

أخيرا توقف وأخذ يتطلع الى ماري وبيتر ...

ساد الصمت .. كان الصبي عاريا مرة أخرى . لقد تمزق شريط المطاط قبيل أن ينتهي من رقصته ، وتكوم السروال عند قدميه مداسا على رمل الصحراء .

وقف ماري والصبي يحدق كل منهما في الآخر ... الصبي الأسود والفتاة البيضاء !

ازدادت عينا الفتاة اتساعا وهي تحدق بالصبي الذي صدم وهو يحس لأول مرة ان أكبر الغريبين ليس صبيا ... انها (لوبرا) أو فتاة شابة ، سرعان ما تصير فخا !... امرأة ناضجة مكتملة !.

خطا الصبي خطوة الى الأمام وتوقف يحدق في

عينيها اللتين امتلأتا بالرعب . ولم يكن هو قد رأى رعبا كهذا الا مرتين من قبل .

وهذا الرعب الذي يراه الآن يعني في ذهنه شيئا واحدا فحسب ... انه يعني ان الفتاة قد رأت روح الموت في عينيه ! ... فأخذ جسده يرتجف ويختنق ... انه سوف يموت ... لقد عرف انه في طريقه الى الموت !!...

* *

ان اولئك الصبية في الصحراء لا يخافون الا من شيء واحد فحسب ذلك الشيء هو الموت .. انه شيء مرعب بالنسبة لهم ، فأولئك الاستراليون يعتقدون أن الموت هو النهاية التي ليس بعدها حياة ... انه نهاية كل شيء ... وذلك ما جعل الصبي يخاف كل هذا الخوف .

أخذ الصبي يرتجف وتبلل جسده من العرق وأصبح باردا كالثلج . فقد كان يعتقد ان الفتاة قد

رأت روح الموت حين نظرت في عينيه •

لم يفهم بيتر من الأمر شيئا فظل يتطلع مرة الى أخته وأخرى الى الصبي ••• ما الأمر ؟ ما الذي حدث ؟•• ما الخطأ ؟•••• وشعر بعجزه مرة اخرى وأحس أنه على وشك البكاء •

والآن ، •• حين رأى الصبي بيتر على تلك الحال تيقن انه سيموت ، فقد ظن انه رأى روح الموت أيضا • فاستدار مبتعدا تاركا الطعام بجانب البركة والسروال قريبا من النار •••• ورآه الاثنان وهو يوغل ببطء في الصحراء ••• ولم يعرفا ان الصبي كان في (مسيرة) عبر الصحراء •

و (المسيرة) في تلك الصحراء هي اختبار للصبيان الذين بلغوا الثالثة أو الرابعة عشر من العمر ••• وعلى الصبية في هذا الاختبار أن يسيروا لوحدهم من موضع ماء الى آخر وأن يبحثوا لوحدهم عن الطعام •

وتستغرق تلك الرحلة من ستة الى ثمانية أشهر ، لن يبقى بعدها الا الفتيان الأقوياء ، وهؤلاء وحدهم سيكونون أسرا ويصيرون أباء !

وقبل أن يقابل الصبي الطفلين ، كان قد قطع شوطا بعيدا من رحلته بنجاح •••• لكن رحلته توشك الآن على الانتهاء • فقد ظن ان روح الموت في عينيه ••• لسوف يموت ولن يعيش ليصبح رجلا ولن تكون له زوجة أبدا !!!

* *

كان وجه ماري شاحبا وأنفاسها تتلاحق وهي تراقب الصبي يوغل ببطء في الصحراء ••• أما بيتر فقد كان ذاهلا وخائفا • فهو لم يفهم ما الذي حدث ••• لكنه أدرك شيئا واحدا •••• ان الصبي تركهما للمرة الثانية •

وفجأة ركض الولد الصغير خلف الصبي وهو يصيح بصوت خائف :ـ أيها الصبي ••••



مد الصبي يده بسرعة واختطف واحدا من صغار الباستارد وذبحه

ارجع ... ارجع .

لم يبن على الصبي أنه سمعه فاستمر ماشيا ...

ولم يثن ذلك بيتر بل لحق به وتعلق بركبتيه وأخذ يشده من ساقه وهو يكرر القول :

ـ لا تتركنا ... لا تتركنا ...

تطلع الصبي الى بيتر ... كان يريد منه أن يتطلع في عينيه ليرى روح الموت فيهما !

حدق الأثنان في عيون بعضهما ... وأدهش ذلك الصبي ... ان الصغير لم يبتعد أو يطلق صرخة رعب . وفجأة شعر بأمل ... فربما تكون الفتاة مخطئة ، أو ربما غادرته روح الموت وذهبت الى مكان آخر ، فاستدار عائدا الى البركة ، لكنه حين وصل ، ابتعدت الفتاة عنه وقد امتلأت عيناها بالرعب مرة أخرى .

فقد الصبي كل أمل ... انه سيموت ... ربما لا يموت هذا اليوم أو غدا أو بعد غد ... لكنه

سوف يموت حتما قبل هطول الأمطار • ولن يرى أهله وأقاربه مرة أخرى •

وبدأ الصبي يفكر في هذين الغريبين ••• هذين المخلوقين العاجزين اللذين سيموتان حين يصيبه الموت ••• وستأتي روح الموت من أجل ثلاثة أشخاص لا شخص واحد فحسب •

ما الذي عليه أن يفعل ؟••• أغمض الصبي عينيه بضع لحظات ثم فتحهما مرة أخرى ••• لقد عرف الآن ما عليه أن يفعل ؟

سوف يقود هذين الغريبين الى مكان أمين ••• الى (وادي المياه !) ••• المكان الذي كان من المفترض أن تنتهي فيه رحلته ••• وعليه أن يسرع بهما الآن •

وقال الصبي :ـ كورورا ••• وشرع يسير في الصحراء •• فتبعه بيتر في الحال • لكن الفتاة لم تبرح مكانها • فظن الصبي أنها سوف تمكث

بجانب البركة ، لكنه رآها من بعيد وهي في اثرهم تحث الخطى !•••

❋ ❋

ليست الصحراء الأسترالية أرضا منبسطة تماما •• فهناك الرمال والصخور ومواضع المياه والعديد من الأشجار والنباتات •

وفي تلك الصحراء الشاسعة قاد الصبي ماري وبيتر الى ذلك المكان الذي رآه قبل ثمان سنوات حين كان صغيرا ، ولا يزال يتذكر كل شيء كأنه حدث بالأمس •

وصلوا الى أحد الوديان •• وفي ذلك الوادي رأوا مختلف الأشجار وآلاف الطيور •

أوغل الثلاثة في الوادي كثيرا • وفجأة ، سمعوا ضجة غريبة وكانت صادرة عن طيور (الباردلوت) •

تطلع الثلاثة الى أعلى ••• في البداية لم يروا شيئا • لكن طيرا مرق من فوق رؤوسهم وحط على

أحد الأغصان بالقرب منهم . واذ ذاك أدرك الصبي ان ثمة ماء بالقرب منهم . فطيور (الباردلوت) تعيش دوما بجوار المياه . وسرعان ما وصلوا الى بركة ماء صغيرة قرب بعض الأشجار .

انتصف النهار وسخن الجو ، فأخذ بيتر والصبي يبللان رأسيهما بالماء . وفعلت ماري الشيء نفسه ، لكنها لم تقترب من الصبي . وكلما تطلع اليها تحركت بعيدا عنه وقد تملكها الخوف . وسألها بيتر عن سبب خوفها فلم تجبه فذهب وتمدد في ظل الصخرة بجوار الصبي .

مكث الثلاثة بجوار البركة ثلاث ساعات الى أن برد الجو . وبعد ذلك نهض الصبي وسرعان ما استأنفوا المسير مرة أخرى .

في ذلك اليوم قطعوا خمسين ميلا . وكان بامكان الصبي أن يقطع ضعف هذه المسافة ، ولكن التعب دب الى بيتر وآذته قدماه الحافيتان لأنه

كان قد رمى الحذاء قبل المسير .

في المساء خرجوا من الوادي .

لم تعد هناك طيور ولا أشجار ... غير ان ثلاثة من طيور (الباستارد) ظلت تتبعهم أنى يسيرون . فجأة ، مد الصبي يده بسرعة فائقة واختطف واحدا من صغار الباستارد وذبحه . ثم وضعه على ذراع الفتاة . فقد كان معتادا بين قومه أن تحمل النساء الأشياء بدلا من الرجال !.

ذهلت ماري ... كان جسد الطير لا يزال ينتفض وسقط الدم على ثوبها . لكنها لم ترم الطير بل قبضت عليه بقوة وسارت .

ولاحظ بيتر أن أخته غير سعيدة فقال لها : اعطني الطير ... سأحمله بدلا منك . وحاول أن يأخذه منها ، لكن ماري همست : ـ انه ثقيل ... سأحمله أنا !...

* *

في تــلك الليلة عسكــر الثلاثــة قــرب بعض الصخور •• وجمع بيتر والصبي عيدانا وأوقدا نارا وشويا الطير عليها • ثم جلسا يتحدثان بالأشارات •

لقد صار بيتر يفهم الصبي جيدا !

أخيرا رقدوا على الأرض وتهيأوا للنــوم ••• لكن الفتاة كانت لا تزال متوترة خائفــة • فظلــت تتحرك هنا وهناك راغبة أن تظل بعيدة عن الصبي ••

أما بيتر فكان متعبا جدا وكان يريد النوم فقال لها :

ــ كفي عن الحركة يا ماري ••• فأني لا أستطيع النـــوم •

قالت ماري :ــ آسفة يا بيتر • ثم ساد الصمت ، وتحرك الصبي بهدوء حول المكان • راحت مــاري تراقبه ثم نادت على بيتر بصوت خافت :

ــ بيتر ••• تعال ونم بقربي من فضلك •

تحرك بيتر ببطء ورقد الاثنان متلاصقين •• ومن خلال ضوء النار رأت ماري الصبي يقف على قــدم

واحدة محدقا في الوادي الذي يضيئه القمر !••

راقبته بعناية وراحت تفكر وتتساءل :ــ تــرى ما الذي يفكــر فيــه ؟

هل ينتظر أن أنام ؟••• ثــم راحــت تــردد في نفسها : لن أنام حتى ينام ••• حتى ينام ••• حتـــى ينـــام ••• ولــم تشــعر حــين انطبــق جفناهــا واستـــسلمت للنـــوم •

بقي الصبي وحده لم ينم ، وإذ كانت الساعات تمر ظل واقفا هناك في الصمت مفكرا في الموت !

ان سكان الغابات في أستراليا أقويــاء جــدا ، فبأمكانهم أن يعيشوا في الصحراء حيــث الحــرارة مرتفعة في النهار وقارسة البرودة في الليــل ••

لكن لديهم نقطة ضعف مروعة ، فحينما يعتقــد أحدهم أنه سيموت فليس بأمكان أحد أن يثنيه عــن ذلــك الاعتقـــاد !

والصبي أدرك انه سيموت •• تيقن من ذلك حين

رأى الرعب في عين الفتاة ... لقـد رأى الرعـب نفسه مرتين من قبل .. فمنذ زمن بعيد رأى امـرأة ولدت طفلا ميتا ، وحين حدق لمح الرعب في عينيها . ولا يزال يتذكر ذلك الرعب في عينـي شـيخ كبـير ضعيف تركه أهله يموت في الصحراء لأنه لم يكـن يسـتطيع المسـير .

وهكذا وقف الصبي في هذا الليل صامتا محدقا عبر الوادي المقمر متساءلا كيف ومتى سـتأتي روح المـوت لتأخـذه بعيـدا ! ...

* *

في الصباح أكلوا طير الباستارد الذي شووه على النار في الليل ... وسرعان ما قـام الصبي وأطفـأ النار ثـم شرع يسـير .

كانت ماري لا تزال قلقة حول بيتر ، فهـو لـن يستطيع أن يجاري الصبي في سرعة مشيه . ولكـن بيتر كان قد نام جيدا وشبع فسار بجانـب الصـبي



ومن خلال الاوراق رأى الثلاثة طائرا ضخما غريبا بني اللون

موجها له السؤال تلو السؤال • وبدا على الصبي انه كان يفهم بيتر جيدا فقد كان يجيب على تلك الأسئلة جميعا •

وخلال تلك المدة تعلم بيتر كيف يتحدث بلغة الصبي • فمرة جاء يحمل صخرة الى الصبي وسأله : ــ ماذا تدعو هذه ، أيها الصبي ؟

أجاب الصبي : ــ جارشا ••• وكان رنين الكلمة يشبه صخرة صلبة قاسية •

ثم التقط بيتر قبضة من العشب وقال : وهذه ؟•• أجاب الصبي : ــ كاراثارا ••

وكان رنين الكلمة ناعما يشبه صوت الريح خلال الأعشاب ! وظل بيتر يردد مرة بعد أخرى : جارشا ــ كاراثارا ••• جارشا ••• كاراثارا ••• ثم شرع يريه الكثير من الأشياء مستفهما عن أسمائها •

* *

انطلق الثلاثة يسيرون عبر هضبة حمراء ، ولم

يكن السير سهلا في تلك الهضبة وكانت الحرارة عالية جدا وليس ثمة ماء • وأخذ بيتر ينقل خطاه بصعوبة وجهد • وتطاير الغبار فعطش بيتر ••• وفجأة بدا على الصبي القلق • أأصيب بيتر بالحمى التي تصاحب سقوط المطر ؟

وحين توقفوا في المساء ، كان بيتر متعبا جدا حتى انه لم يستطع أن يتناول شيئا من الطعام وذهب الى حيث رقدت أخته واضطجع بجانبها واستغرق في النوم •

بسرعة أوقد الصبي نارا ••• كان مفعما بالرضا فلقد ساروا سبعة عشر ميلا ذلك اليوم ••• وبعد سبعة أيام سيصلون الى (وادي المياه) • ويكون بذلك قد أنقذ الغريبين •

ولم يقترب من الفتاة ••• انه لم يكن يعرف لماذا تريده تلك الفتاة بعيدا عنها •• ربما تفكر أن روح الموت سوف تنتقل منه اليها • لذلك رقد

الصبي على الجانب الآخر من الموقد واستسلم للنوم ..

* *

كان الصبي أول من استيقظ فنهض واتخذ طريقه بهدوء عبر الوادي ... وأعقبه بيتر الذي جلس على الأرض وراح يفرك عينيه وأنفه بيده ... فصاحت به ماري غاضبة :ــ بيتر .. أين منديلك ؟

فأجابها :ــ لقد أضعته ... ثم نهض مسرعا وهو يقول :

ــ سأذهب للبحث عن الصبي ... هل ستأتين معي ؟

هزت ماري رأسها ثم عادت واضطجعت على الأرض .. ولم يعرف بيتر سبب حزنها ووجومها ، فانطلق ويداه في جيوبه في اثر الصبي . وبينما كان كذلك اذا به يسمع ضجة غريبة ..

بحذر وهدوء أخذ يتسلق بعض الصخور . وحين

أطل منها رأى على بعد ٢٠ قدما منه بركة صغيرة محاطة بالصخور .

كان الصبي جالسا هناك ، وحين رأى بيتر ابتسم وقال وهو يشير الى البركة :ــ ياروا .

هبط بيتر باتجاه الصبي ، وحين اقترب منه رأى الـ (ياروا) . كانت عبارة عن سمكة صغيرة ما ان رآها حتى تذكر انه لم يتناول فطوره بعد .

فقال مشيرا اليها :ــ بيمارا ؟

هز الصبي رأسه موافقا وتقدم بيتر خائضا في الماء وتوقف . تحت بصره كانت المئات من تلك الأسماك الصغيرة ، فأدخل يده على مهل في الماء وحاول أن يمسك بها . لكنهن سرعان ما انزلقن عنه بعيدا . وحين رآه الصبي انفجر ضاحكا فخرج وجاء وجلس بالقرب منه . فناوله الصبي حصاة صغيرة وقال :ــ كوروورا .

ثم قام وتسلق بعض الصخور . ومن هناك دفع

بصخرة كبيرة الى البركة ، وفعل بيتر الشيء نفسه فتطاير الماء في كل اتجاه محدثا صوتا يشبه صوت الانفجار .. ولم تمض سوى برهة حتى طفا السمك على سطح الماء فقفز الصبي الى البركة وتبعه بيتر وأخذا سوية يخطفان المجموعة تلو الأخرى ويرميانها على الصخور . ثم خرجا من البركة وراح الصبي يلتقط السمك بيده . لكنه كان أكثر من أن يحمله لوحده فخلع بيتر سرواله ووضع السمك فيه ولفه وعادا سوية يحملانه الى حيث النار .

حين انتهوا من الفطور ، لم يلبس بيتر سرواله مرة أخرى ، فغضبت ماري منه غضبا شديدا ... لكنه قال لها :ـ انه رطب متسخ .

فقالت :ـ اغسله اذن ثم البسه ...

قال :ـ كلا ... ورماه . فالتقطه الصبي ووضع فيه بقية السمك الذي يحتاجونه في رحلتهم وناوله للفتاة وهو يقول :ـ كورورا .. وبدأ الثلاثة يوما

رابعا من أيام رحلتهم تلك .

* *

وصل الثلاثة الى أرض منبسطة فحث الصبي خطاه . وبعد ساعات قليلة ساءت حالة بيتر وبدأ أنفه يرشح من أثر الزكام . فكان سروره كبيرا حين جلسوا يرتاحون في ظل بعض الأشجار .

لكنهم سرعان ما استأنفوا المسير ... وظلوا يمشون ويمشون . وفي منتصف الطريق خلال العصر حدث شيء مدهش غريب . فقد توقف الصبي فجأة وظل لدقائق ساكنا بلا حراك ثم خطا بحذر وهدوء نحو بعض الشجيرات . فتبعه بيتر وماري .

ومن خلال الأوراق رأى الثلاثة طائرا ضخما غريبا بني اللون له ذيل غير منتظم وهو يفتش عن الحشرات . فخاب أمل ماري وبيتر لكن الصبي أشار عليهم بالانتظار بهدوء . وفجأة شرع الطير بالغناء ولم يعد طيرا عاديا فقد كان صوته أجمل

صوت سمعه الاثنان في حياتهما .

بلا توقف انسابت الاغنية في حين كان الطفلان ينصتان بهدوء .

وبعد أن أتم أغنيته ، تحول ذلك الطير البني اللون ذو المظهر العادي الى مخلوق جميل . فقد تفتح ذلك الذيل ليكون مروحة زاهية الألوان . الوان زرقاء وفضية وذهبية .

ثم عاد الطير يغني مرة أخرى وهو يرقص متمايلا من جانب لآخر . ولم يلبث بعد ذلك حتى كف عن الغناء والرقص وعاد طيرا عاديا بني اللون يبحث عن الحشرات .

استأنف الثلاثة السير تحت سماء بدت ذهبية حمراء من شدة الشمس . وظلوا سائرين حتى اذا حل الغروب توقفوا للمبيت تحت بعض الأشجار وجلسوا بجانب الصبي الذي انهمك يوقد النار .

وما عاد بيتر يعطس كثيرا فلقد تحسنت حالته وبدأ

يشفى من الزكام .

قام الصبي من مكانه وغاب في الظلام ... فجأة وعلى ضوء النار رآه الأثنان عائدا يحمل ثلاثة أغصان صغيرة وبدأ يمثل دور ذلك الطير البني اللون فصنع لنفسه من الأغصان الثلاثة جناحين وذيلا وشرع يدور حول النار وهو يرقص ويغني .

وسر بيتر وماري وأخذا وقد تشابكت أيديهما يضربان الأرض باقدامهما من شدة الضحك . وفجأة وفي أثناء الرقص عطس الصبي مرة أخرى ، وشعر بضعفه قواه فوضع يده على جبهته وأخذ يتحسسها بأصابعه الرطبة الباردة .

وتسلل الخوف الى قلبه حين تذكر كيف ان رجلا عجوزا رآه يعطس قبل أن يموت . ثم اضطجع قرب النار وهو يعطس ويرتجف . وتطلع الاثنان الى الصبي الأسود بدهشة . لكن أيا منهما لم يذهب اليه ويتفقده . فلم ترغب الفتاة أن تدنو منه ، وكان

بيتر متعبا فاستسلما حالا للنوم • وبقي الصبي لم ينم • كان على قربه من النار غير قادر ان يوقف جسده عن الارتجاف • وظل يعطس مرة بعد أخرى •

* *

في الصباح فتح الصبي عينيه ... كان جسده موجعا وانفه يرشح ، فلقد انتقلت العدوى من بيتر اليه •

ارتفعت الشمس في كبد السماء • وظل ماري وبيتر ينتظران أن يتحرك الصبي • ومرت الساعات والصبي لما يزل على الأرض • فسأل بيتر ماري قلقا :ـ ماري ... أتظنين انه مريض ؟

قالت :ـ انه يبدو لي على خير ما يرام •

فقال بيتر :ـ أظن أن من الأفضل أن أسأله • ثم نهض وخطا نحو الصبي وقال له : هل أنت بخير ؟... اذا كنت كذلك فدعنا نواصل السير نحو أديلايد !

تطلع الصبي الى الأعلى ، فرأى ماري وبيتر

يتطلعان اليه وتذكر اذاك ان (وادي المياه) لا يزال يبعد عنهم مسيرة خمسة أيام • فتحامل على نفسه ونهض ببطء ، وبدون أن يتفوه بكلمة انطلق يسير نحو الشمال •

ظلوا طول الصباح يسيرون صامتين • وبعد منتصف النهار بقليل انطلق الصبي يبحث عن الطعام فوجد أربع عشرة بيضة في عش ، فعاد بهن •

وهيأ الثلاثة من تلك البيوض وجبة الغداء • وشعروا بعد الأكل بالظمأ الشديد ، ولكن ... لم يكن ثمة ماء •

وكانت فترة الراحة أطول كثيرا من المعتاد ، فكان على ماري وبيتر أن يطلبا من الصبي استئناف المسير • ولكن حاله قد ساءت الآن فان انفه ما برح يرشح وعينيه مغمضتان ، وهو يعطس ويكح بين فترة وأخرى • وحين بدأ يسير أخيرا ، كان يمشي ببطء •

وهمس بيتر في اذن ماري وقد بدأ القلق

يســـــاوره :

ـ ماري ••• اظنـــه مريضــــا ••• عليـــك أن تعملي شـــيئا •

أجابت :ـ انه مصاب بالزكام ليس الا ، وليس ثمــة داع للقلـــق •

قال بيتر : لكن انظري في عينيه •• انهما تبدوان غريبتين ، كأن ثمة شيء قد أصابه •

قالت : لا تقلق •• انه على ما يرام •

❋ ❋

ساروا العصر كله والغروب وأثناء سيرهم وجدوا موضع ماء ، لكنه كان جافا ••• ثــم عثـــروا على موضع ماء آخر •• وكان المـــاء فيه وسخا ومالحـــا وبالرغم من ذلك شربوا منه •

وكان الصبي أضعف من أن يوقد نارا ، ففتش ماري وبيتر بنفسهما عن بعض الوقود • ثم طلبا من الصبي أن يوقد النار ••• بعد ذلك رقـــد الثلاثـــة



تسلق الصخرة وحين وصل الى قمتها راها تحته تستحم

لينامو ... لقد كانوا متعبين جدا فاستسلمت ماري وكذلك بيتر للنوم حالا ... لكن الصبي ظل يقظـا لـم يغمض لـه جفـن .

كانت القشعريرة تجتاح جسده فتتعاقـب عليـه الحرارة والبرودة في كل دقيقة تمر . وفكر وهو في تلك الحال انه قـد أصيب بالحمى .

في منتصف الليل شعر الصبي ان جبهته وأصابعه مبللتان رطبتان وبـدأ جسـمه يرتجف . وأحـس بالخوف وهو يسائل نفسه : هل يعرف الغريبان كيف يبنيان سقيفة الدفن ؟... يجب أن تكون عالية عن الأرض والا فستخطف الأرواح الشريـرة جسـده بعيـدا !

ان سكان أستراليا يعتقدون أن هناك أرواحـا شريرة تخطف أجساد الموتى حين يدفنون . ولكـي يمنعوا تلك الأرواح الشريرة من ذلك فانهم يبنـون

سقيفة عالية من أغصان الأشجار ويضعون في داخلها جسـد الميـت !

* *

في اليوم التالي استأنف المسير بلا طعام . وبـدأ الصبي بمرور الوقت يزداد ضعفا .

وصلوا أخيرا الى أرض منبسطة فرأوا بعـض التلال من بعيد . أشار الصـبي الى تـلك التـلال وقـال :ـ اركولولا ...

وظلوا بعد ذلك يسيرون بلا توقف ومن دون أن يلوح عليهم أنهم سيقتربون منها . لكنهم في النهايـة وصلوا الى ظـل تلك التـلال . وهنـاك جلسـوا يستريحون عند ماء بعض البرك .

لم يعد الصبي الآن يكح ويعطس كثيرا ، لكنـه ظل يزداد ضعفا ، وحاول بيتر أن يساعده . لقد رأى انه يرتجف فالتقط سرواله وحاول أن يغطيـه بـه . وفجأة قفزت الى ذهنه فكرة فصاح :ـ مـاري ان

الصبي محموم ••• لماذا لا تعطيه رداءك ؟

ذهلت ماري وظلت تحدق في اخيها ثـم أشاحت بوجهها بعيدا وبدأت ترمي بقطع الخشب الى النار •

لكن بيتر لم يكف عن طلبه وظل يردد :

ـ هيا ••• مـاري •• مـاري •• لا تكونـي أنانية •• انه محموم •

فلم ترد الفتاة بشيء بل شحب وجهها وامتـلأت عيناها بالخوف •

فقال بيتر : أظنك خائفة ••• فتـاة جبانـة ••• فتـاة جبانـة •

وحين سمعت ماري ذلك غطـت وجهها بيديهـا وتمنت اذاك لـو أن بيتـر أكبـر ممـا هـو الآن بسنوات • فلربما فهم موقفها •

ورأت الصبي يتطلع اليها فارتجفت من الخوف • ثم عادت ترمي بالعيدان الى النار • وفي تلك الأثناء تلألأت النجوم في السماء ورقد الثلاثـة على الأرض

واستغرقوا في النـوم •

* *

في الصباح استيقظ بيتر مبكرا وذهب يبحث عن بركة ماء ••• كان الماء باردا وكان هو في حاجـة لأن يستحم ويجدد نشاطه • أخيرا ، وجد بركـة عميقـة المياه في طرفها البعيد شلال فقفز فيهـا • وبعـد أن أمضى بعض الوقت كر راجعا نحو موقد النار •

كان الصبي لا يزال هناك نائما •• لكنه وجـد ماري قد استيقظت فأخبرها عن تلك البركة ومائهـا البارد النقي • فتطلعت الفتاة الى الصبي فوجدتـه لا يزال نائما • فقالت لبيتر :

ـ هل تستطيع أن تبقى قرب النار ريثما أستحم ؟

أجابها : حسنا • فابتسمت له واتجهـت نحـو الطرف البعيـد عن مجموعة الصخـور • وهنـاك خلعت رداءها الممزق وحلت شعرها ثـم قفـزت الى المـاء •

سبحت ماري ثم وقفت تحت الشلال فتطاير الماء فوق جسدها وشعرت بالسعادة وفكرت انها ستصل يوما ما الى أديلايد • وأقصت عن ذهنها الصبي الأسود فقد كانت تشعر بنفور منه وخوف •

وكان اليوم بالنسبة لها يوما جميلا رائعا فالطعام متوفر والماء عذب طيب المذاق • وقد تحسنت حالة بيتر وفارقه الرشح • فشرعت تغني بابتهاج • واذ كانت ماري في الماء ظل بيتر يلقي بمزيد من العيدان الى النار فاضطرمت وتأججت وسطع ضوءها فأيقظت حرارتها الصبي من نومه • لكنه بقي راقدا على ظهره وهو يفكر : هل سيعرف الغريبان كيف يصنعان سقيفة الدفن العالية !

ثم نهض ببطء وقد تملكته فكرة ••• ان عليه أن يعلم الغريبين كيف يقومان بذلك العمل • وعليه أن يسرع فهو يزداد ضعفا بمرور الوقت • وقد أراد أن يتحدث الى بيتر حول الموضوع • لكن بيتر

كان يبحث عن الوقود • وبينما هو كذلك اذا بصوت الفتاة يتناهى الى سمعه وهي تغني وتخبط الماء • فذهب يبحث عنها •

تسلق الصخرة ، وحين وصل الى قمتها رآها تحته تستحم ••• كانت عارية وشعرها طاف فوق سطح الماء • ولاحظ الصبي انه شعر ذهبي طويل • ولم يكن الصبي قد رأى شعرا جميلا كهذا • فانبطح فوق الصخرة وحدق بدهشة وفضول • وفجأة تطلعت الفتاة الى أعلى ، فالتقت عيناها بعينيه المحدقتين فتراجعت مرعوبة خائفة • ثم مدت يديها واختطفت حصاة وقبضت عليها بقوة •

نهض الصبي وجاء يمشي هابطا نحو بركة الماء • لكنه حين وصل الى الضفة توقف متعجبا مندهشا ، اذ رأى الفتاة وهي تزمجر في وجهه وقد امتلأت عيناها رعبا •

خطا الصبي خطوة الى الأمام • وحينئذ رأى



وبلطف شديد رفعت راس الصبي ووضعته فوق ركبتيها

الحصاة في كف الفتاة فتوقفه مرة أخرى .
انها تكرهــه ... يســتطيع أن يــرى ذلــك بوضوح ... وفي تلك اللحظة أدرك ان جســده لن يوضع في السقيفة التي تمناها . فازداد ضعفه وأحس بالوهن يسري في أعضائه ، ولــم يستطع أن يعلل أو يفهم شيئا ، بل ظل يتطلع الى فمها المزمجر وعينيهــا الخائفتين . وصدمه ذلك وأمرضه فلم يعد يرغب في الحياة . فاستدار يبطء عائدا الى الصحراء ، ثم تمدد في ظل شجرة (الموكا) ...

وبالنسبة لسكان الغابــات في أستراليا ، فــان شجرة الـ (موكا) هي شجرة الحــزن والأسى . ان أغصانها تتــدلى الى الأرض وازهارها مبللة دومــا بعصير أحمر يتساقط منها كأنه قطرات من دم قــان . وقد تدلت الآن أغصان شجرة الـ (موكا) بحزن فوق الصبي المدد تحتها . وتساقط على جسده من الأزهار الكبيرة الحمراء عصير كأنه قطرات من الدم !

كان بيتر لا يزال يغذي النار بالوقود حينما أبصر أخته مسرعة نحوه فأدرك أن ثمة أمر قد حدث ... ورآها حين وصلت اليه تلتقط غصنا وتدفع بالرمل نحو النار .

غضب بيتر وصاح باخته :ـ انك سوف تطفئين النار .

فأجابته :ـ لن نحتاج اليها .

فعاد يقول لها :ـ بل نحتاج اليها ... فكيف سنهيء فطورنا ؟

قالت : ليس ثمة فطور ! فلايوجد هنا غذاء ولا يستحسن أن نبقى . فدعنا نذهب .

لم يصدقها بيتر ، بل قال لها :ـ لم هذه العجلة ؟ سيجد الصبي الغذاء . فقالت : اصغ الي يا بيتر ... دعنا نستمر لوحدنا أنا وأنت ... سنكون أحسن حالا .

عبس بيتر وقال : لا أرغب أن أترك الصبي الأسود .

قالت ماري :ـ انه لا يريد أن يأتي معنا يا بيتر . انه لا يرغب في المجيء . لقد سألته .

قال : هل أنت واثقة ؟ أجابت : نعم ... واثقة ..

لكن بيتر لم يصدق ما سمعه،فقال وقد بدأ يخطو نحو الصخور :ـ أنا ذاهب لأسأله . وهمت الفتاة أن تلحق به لكنها توقفت وجلست بقرب النار .

بعد حوالي عشر دقائق عاد بيتر راكضا ، وقال لها وصوته يرتجف :ـ

ـ ماري ... ان الصبي مريض جدا . انه راقد تحت الشجرة ...

أجابت :ـ ربما كان نائما ...

فقال بيتر :ـ انه ليس بنائم ... انه مريض ... انه مريض ... تعالي وانظري .

ارتجفت الفتاة وقالت :ـ كلا ... كلا ...

لن أذهب اليه .

وكان يوما طويلا حزينا فبيتر لن يترك الصبي ، وماري لن تذهب بالقرب منه ، ولم يكن ثمة غذاء !...

وحمل بيتر بكلتا يديه ماء الى الصبي ... في البداية رفض الصبي أن يشرب ، لكنه بعد برهة شرب قليلا .

وازداد ماري وبيتر جوعا فبحثا في البرك عن الأسماك ، لكنهما لم يجدا شيئا ... وحالفهما الحظ في النهاية ، فقد وجدا بعضا من كرات الـ (وورورا) . واذ كانت الشمس تغرب جلسا وطبخا تلك البيوض وانهمكا في الاكل .

حمل بيتر شيئا من الطعام الى الصبي ... لكنه رفض أن يأكل شيئا .

والآن .. ازداد الصبي ضعفا ولم يعد يتطلع أو يصغي الى ما حوله بالرغم من أن زكامه قد خف

وفارقته الحمى . وظل راقدا على الأرض صامتا وقد انطبقت عيناه المعتمتان وشاعت البرودة في جسده النحيل .

جلس بيتر بجانبه وقد قبض على يده . لقد أحب الصبي دوما ، وها هو قد بدأ يدرك الآن ان صديقه في طريقه الى الموت فضغط على كفه بقوة .

وفجأة بدأت شفتا الصبي تتحركان ، فانحنى بيتر ليسمع ما يقول . وسمعه يهمس :

ــ اركولولا . فجرى نحو البركة وعاد حاملا بيده ماء . لكن الصبي دفع يد بيتر بعيدا وهز رأسه . ثم تحامل على نفسه وجلس ببطء على الأرض ، وهمس ثانية وأشار نحو بيتر : اركولولا .

اندهش الولد الصغير وقال : أنا ... أنا لا أريد الماء .

قال الصبي ثانية : ــ اركولولا ... بيمارا ... ، وأشار أولا نحو بيتر ثم نحو التلال .

مر وقت طويل قبل أن يفهم بيتر قصد الصبي ... كون الصبي من الرمل بيديه مجموعة من التلال وخط طريقا باصبعه من جهة منها الى الجهة المقابلة . فادرك بيتر مراده وهتف قائلا :ـ بالتأكيد ... أيها الصبي .. الآن فهمت ... هناك غذاء وماء فوق التلال ... (اركولولا) و (بيمارا) ... ذلك حسن والآن تمدد ولا ترهق نفسك .

تحت شجرة الـ (موكا) أغمض الصبي عينيه وتمدد على جنبه جاذبا ركبتيه نحو صدره ... نهض بيتر وسار نحو أخته التي كانت تتطلع الى النار فالتفتت اليه وسألته : كيف حاله ؟

أجابها :ـ اظنه سيموت قريبا ... فصرخت : أوه ... لا ... لا .. لا

وغطت وجهها بيديها ، وراقبها بيتر وهي تترنح في جلستها فعبس وسألها : ما بك ؟

قالت ماري :ـ لا أصدقك ... انه مزكوم ليس الا ... ثم نهضت مسرعة وراحت تسير جيئة وذهابا وهي ما تني تسأله :ـ هل أنت واثق انه مريض جدا يا بيتر ؟

ويجيبها بيتر كل مرة : طبعا .. متأكد ... تعالي وانظري بنفسك .

ظلت الفتاة صامتة مدة طويلة ثم قالت أخيرا ببطء :ـ نعم ... سأتي معك !

سارا سوية نحو شجرة الـ (موكا) ... كان الصبي راقدا في ظلها فجلست الفتاة بجانبه وراحت تتطلع الى وجهه فرأت ان ما قاله بيتر كان حقا .

فها هو الصبي يموت ... وبلطف شديد رفعت رأس الصبي ووضعته فوق ركبتيها . وبنعومة بالغة راحت أصابعها تدلك جبهة الصبي .

فتح الصبي عينيه ... لم يفهم في البدء شيئا ..

لكنه سرعان ما ابتسم في وجهها ... وانفطر قلب الفتاة لتلك الابتسامة التي علت وجه الصبي وأدركت انها كانت مخطئة وحمقاء ... كان عليها ألا تخاف منه ، فلم يكن قط ينوي بها شرا ولا أراد أن يؤذيها .. وشعرت اذاك ان مخاوفها قد اختفت الى الأبد ، فليس ثمة فرق بينها وبين الصبي ... انهما لم يأتيا من عالمين مختلفين ، بل هما من عالم واحد هو عالم الأنسان ، ومن أرض واحدة هي أرض البشر !

في الساعة التي صمتت فيها الصحراء ،وخلدت الى السكون ... مات الصبي بهدوء وسلام ... لكن ماري لم تعرف بذلك لأنها كانت اذ ذاك مستغرقة في النوم .

على الرمل استراح رأس الصبي لصق وجه الفتاة . أما وجهه فقد غطاه شعرها الذهبي الطويل !!

* *

انتصف النهار ... كان الفتى والفتاة متعبين جائعين بعد الذي قاسياه .

لقد فرغا توا من دفن الصبي بجانب بركة الماء . وها هما الآن جالسان يتطلع كل منهما الى الآخر .

وفجأة نهض بيتر واقفا وقال :ـ اتبعيني يا ماري ... كورورا

فسألته : أين سنذهب ؟ فقال :ـ فوق تلك التلال بالطبع .

فعادت تسأله :ـ هل أنت واثق ان ذلك هو الطريق يا بيتر ؟ فأجاب :ـ بالطبع أنا واثق ... لقد أخبرني الصبي بذلك ... هناك غذاء وماء فوق التلال .

قالت : حسنا ... لنذهب ... وشرعا يسيران بمحاذاة النهر .

لقد تعلما الكثير من الصبي ... لقد علمهما

كيف يوقدان النار ويصنعان الطعـام • وها هما يعيشان كما كان يعيش ويصنعان مثل ما كان يصنع • وبتلك الطريقة وحدها كانا يستطيعان أن يبقيا علـى قيـد الحيـاة •

خلال النهار لم يتفوها بشيء عـن الصبي ••• لكن الآن وقد حل المساء وجلسا يستدفئان قـرب النـار فانهما شرعا في الحديث •

تطلع بيتر الى السماء ••• كانت النجوم تتالق على الأديـم الأسود اللامتناهي •

فهمس قائلا :ــ ماري ••• هـل عالـم السماء هناك ؟ أهو فوق تلك النجوم ؟

أجابت ماري :ــ ذلك صحيح يا بيتر •

فقال :ــ هل تعتقدين ان الصبي هناك الآن ؟

قالت :ــ نعم يا بيتر ••• أنا واثقة انه هناك •

وحين استيقظ الاثنان في الصباح التالي ، كانا جائعين فهبطا نحو الجدول للبحث عـن الاسماك •

لكنهما لم يجدا شيئا فاكتفيا بالسباحة في الماء • ثـم خرجا وتمددا قرب الضفة تحت أشـعة الشمس •

انهما لن يستطيعا أن يظلا هكذا قـرب الجدول والا هلكا من الجوع ، فاستأنفا المسير •

ظلا يتتبعان مجرى الجدول خـلال الوادي ••• وبـدأ الجدول يضيق ولـم تعـد هناك نباتـات ولا أشجار • وبدت التـلال لعينيهما بعيـدة ••• بعيـدة جـدا •

وقبل ساعات مـن الغروب وصـلا الى منبـع الجدول في واد شديـد الضيق ••• كانت الأرض هناك رطبة وليس ثمة ظل • وكان المـاء قـذرا فلم يسـتطيعا أن يشربـا منـه •

وفجأة تذكرت ماري شيئا علمهما الصبي اياه • فشرعت تبحث عن قصبة مجوفـة وحـين وجدتها أدخلتها الى عمق الماء تحت الطبقة الوسخة منـه ، وبدأت تسحب عبر تلك القصبة مـاء باردا صافيا •



وكان اول من وصل رجلا يحمل على ظهره طفلا عمره ثلاث سنوات

وبهذه الطريقة أطفأ ظمأهما ... لكنهما بقيا جائعين .

بدأ بيتر يحرك القصبة هنا وهناك في الماء ، ولدهشته رأى سمكة صغيرة تزحف خارج الماء فصاح :ــ ماري ... ثمة سمك في هذا الماء ... ، فجاءت الفتاة راكضة وتطلعت الى تلك السمكة الصغيرة وقالت :ــ انها صغيرة جدا يا بيتر .

فأجابها :ــ ربما هناك الكثير منها .

وأنعما النظر سوية في الماء المتسخ ، لكنهما لم يريا شيئا .

قال بيتر :ــ ماري ... هل تتذكرين كيف استطاع الصبي أن يصيد السمك ؟ لنفعل مثلما فعل .

فقالت ماري :ــ انك لا تستطيع أن تفعل ذلك هنا . فسوف تنغرز الصخور في الوحل .

وظلا يتطلعان بحزن الى الماء . وفجأة قفزت الى ذهن ماري فكرة ، فهتفت قائلة :ــ دعنا نخبط في

الوحل فربما خرجت تلك الأسماك الصغيرة من الماء •

ثم أخذا بعض الأغصان وشرعا يخبطان بها في الوحل • ولم تمض سوى لحظة حتى طفت تلك الأسماك الصغيرة على السطح • فبدأ الاثنان باصطيادها •

شوى الاثنان تلك الأسماك فوق الحصى الساخن • كان الطعام لذيذ المذاق ، وبقي لديهما مزيدا منه فاحتفظا به الى الصباح • ثم جلسا قرب النار يستدفئان ، فقد كانت الأرض مرتفعة والجو قارس البرودة فظلت ماري تلقي بالأغصان الى النار •

وتحت ••• في الوادي ••• كان يسمع عواء كلب الدنكو وأصوات الحيوانات الأخرى التي خرجت في الليل !

* *

في الصباح اصطادا المزيد من تلك الأسماك ليتغذيا عليها في رحلتهما • وبعد أن فرغا من ذلك شرعا في المسير •

ظل الاثنان يسيران ساعة بعد ساعة ، وكلما وصلا الى قمة تل توقفا ، وتطلعا ، لعلهما يجدان الوادي الذي كانا يبحثان عنه •

وفي كل مرة لم يريا شيئا سوى التلالَ !•••

تلال ولا شيء غير التلال !!

في منتصف النهار استراحا لساعتين وتناولا ما بقي لديهما من طعام • وكان الطعام مالحا فشعر بالظمأ الشديد • وكانت الشمس ساخنة فبدأت ماري تشعر بالنعاس • لكن بيتر هب واقفا على قدميه وقال : ــ هيا يا ماري ••• كورورا •

ربما يكون الوادي خلف ذلك التل • لكنه لم يكن هناك ، ولم يجداه رغم انهما قطعا سلسلة أخرى من التلال •• وحين حل المساء توقفا عند

صخرة ، وقد هدهما الجـوع والعطش والتعـب والخـوف •

لم يكن هناك وقود ليصنعا نارا ، وليس ثمة ماء يشربان منه ، وكانت الريح باردة • وحين تهيئا ليناما قالت ماري وقد عصفه بها القلق :ـ

ـ بيتر ••• هل تظن أن علينا أن نرجع غـدا الى حيـث كنـا ؟

قال بيتر :ـ كلا ••• لقد قال الصبي الأسـود ان هناك ماء فوق التلال ••• سوف نستمر •

في الصباح استيقظا جائعين ظامئـين مرتجفـين مـن البـرد •

همس بيتر :ـ هيـا يا مـاري • لنسـرع فأنا لا أحب هذا المكان ! وشرعا يسيران أبطأ مما كانا عليه في اليوم السابق • وكانت كل خطوة ينقلانهـا صعبة ثقيلة • ولكنهما سرعان ما وصلا الى مجموعة من الصخور الحادة الشديدة الانحدار •

وفي قمة تلك الصخور شاهدا غيوما صـغيرة ، فحث الاثنان خطاهما وفكرا انه ما دامـت هنـاك غيـوم فأن هناك مـاء !

لكن الصخور كانت شديدة الانحـدار وكان عليهما أن يتحركا بحذر وهدوء •

أشارت ماري الى يسارها وقالـت :ـ حـاذر يا بيتر ••• دعنا نصعد من هنـاك ••• فالمكـان أقـل انحـدارا •

وببطء وألم بدءا يصعدان ••• وكلما استمرا في الصعود ، كانت الغيوم تتكاثر وتتكاثر فأسرعت ماري كثيرا وقد عصف الاهتياج بها ، ولم تنس أن تقول لبيتر :ـ علينا أن نحاذر حين نصل الى القمة يا بيتر ••• فربما يكون الجانـب الثاني منحـدرا شديـد الخطـورة •

أخيرا وصلا سوية الى القمة ، ووقفا يدا بيـد ينظران من خلال الريـح الباردة •

وهناك ... تحتهما كـان الوادي ... الوادي
الذي حلما به طويلا ... وادي المياه !
كانت الغيوم تغطي سماءه تقريبا ... لكن ومن خلال فرجات الغيوم استطاعا أن يلمحـا الأشـجار الخضراء والمياه المتلألئة .
رقص بيتر من الفرح وأخذ يصيح :ـ انه كما قال الصبي يا ماري ... غذاء وماء ... بيسـارا وأركولـولا !!
وفي لحظة جرفت الريح تلك الغيوم بعيدا فتبدا لناظريهما نهر كبير جميل تحف به الاشجار .
يدا بيد ، هبط الاثنان نحو ذلك الوادي ... وادي الميـاه !!

* *

كان ماء النهر لذيذا باردا فشرب الاثنـان منه وارتويا . وفي كل مكان كانت الطيـور تصدح في الوادي ... فوق الميـاه ... فـوق القصب ...

فوق الأشجار .. وفي كبد السماء ..
في البداية كان الاثنان خائفين ، لكنهما تغلبـا على خوفهما وشرعا يستكشفان ذلك العالم الغريـب الجديد . والآن لم يعد على جسد ماري شيء مـن الثياب . ففي احدى المرات واذ كانت تمشي الـى جانب بيتـر صاحـت وهـي تشـير الى احـدى الاشجار :ـ بيتر ... انظر !...
وعلى الشجرة ، كانت هناك دبـة مـن نـوع الـ (كولا) مع ابنها الصغير ، فقز بيتـر واختطف الصغير ، ثم ألقاه بين ذراعي مـاري . فتحركت أم الدب وهي تزمجر لتخلص صغـيرها . وشعـرت ماري بالأسف من أجلها فحاولت أن ترجعه اليهـا . لكن الدب تشبث بثوب ماري وأخذ يسحبه فتمزق الثوب وسقط عند قدميها .
أرجعت ماري الصغير الى أمـه ، لكنها وقفت الآن عاريـة تماما . ومن العجيب أن ذلك لم يقلقها

أكثر من قلقها حول الدبة وصغيرها •

أخيرا ، توقف الاثنان عند بحيرة كبيرة ، وعلى ضفة تلك البحيرة ابتنيا سقيفة من القصب ومكثا لعدة أيام •

وفي أوقات الفراغ الطويلة ، كانا يرسمان بالطين صورا فوق الصخور • فرسم بيتر دب الـ (كولا) والطيور وغيرها • ورسمت ماري وجوه فتيات رأتهن في بلدها • ثم رسمت بيتا ، بيتا بسيطا ، بباب واحدة ونافذة واحدة وحديقة صغيرة مليئة بالزهور •

في الصباح ، واذ كانا يسيران على ضفة البحيرة ؛ شاهدا دخانا يتصاعد من الطرف الآخر من البحيرة !!•

❊ ❊

حدق الاثنان صامتين ••• وفجأة تصاعدت حلقات أخرى من الدخان ••• التفتت ماري نحو

أخيها وقالت :ــ ثمة شخص •

وهرع الاثنان وجلبا غصنا كبيرا واضرما فيه النار ، وسرعان ما تصاعد الدخان •

حدقت ماري عبر البحيرة وفجأة شاهدت ثلاثة أشخاص قادمين عبر البحيرة فصاحت :

ــ انهم قادمون يا بيتر ••• ثم سألته :ــ هل تظن انهم رجال بيض يا بيتر أم سود كالصبي ؟

أجاب بيتر : أظن انهم مثل الصبي يا ماري •

وكان أول من وصل رجلا يحمل على ظهره طفلا عمره ثلاث سنوات وقد تشبث بشعر أبيه • وكان الشخص الثاني امرأة تحمل كلبا بريا صغيرا من نوع الـ (دنكو) • وكانت الثالثة فتاة في عمر ماري وكانت تحمل سلة مليئة بالطعام •

حط الرجل طفله على الأرض • وكان رجلا طويل القامة ذا شعر أسود ، وكان عاريا كالمرأة والفتاة •

قال الرجل مخاطبا بيتر :ـ وورم جالا ؟
ومعناه : من أين اتيتم ؟

واذ كان بيتر مشغولا بالتفاهم مع الرجل ، ناولت الفتاة السوداء ماري شيئا من الطعام فأخذته وقدمت للفتاة بعض الفاكهة وتبادلتا الابتسامات .

ثم انحنت ماري على الطفل الذي كان يبكي ورفعته نحو صدرها فكف عن البكاء وبدأ يعبث بشعرها الذهبي الطويل . وتحول بيتر عن الرجل وأخذ يطارد الكلب الذي جرى نحو الماء .

ظل الرجل يتطلع الى الصور التي رسمها الفتى والفتاة . وحين وقع بصره على البيت الذي رسمته ماري ، هتف صائحا :ـ أوي ... أوي ..

وأشارت المرأة نحو الرسم ثم أشارت الى التلال في الجانب الآخر من الوادي .

وفجأة فهمت ماري قصدها ... فعلى التلال ثمة

بيت ... بيت رجل أبيض فصاحت :ـ أين ؟... أين ؟

أخذ الرجل بيدها وهبطا الى ضفة البحيرة ، ثم أخذ يشير من هناك الى واد بين التلال . ولمزيد من الايضاح خط الرجل الطريق على الرمل ، فرسم مزيدا من التلال والبرك ، وفي نهاية الصورة رسم بيتا ، بيتا ذا باب ونافذة وحديقة ملأى بالزهور !

ابتسم الاثنان ... ومد بيتر يده وصافح الرجل ... وقبل أن يشرع وماري في المسير نحو ذلك البيت ، ألقيا نظرة أخيرة على الوادي .

هما يعرفان الآن أنهما لن ينسيا كل تلك الأشياء الى آخر الحياة ... ولن تغيب عن ذاكرتهما صورة ذلك الصبي الذي أوصلهما الى حيث النجاة ...

واذ استدار الاثنان نحو ذلك البيت ، هتف بيتر وقد تملكه الفرح : كوروروا .... !!!

انتهت